جامعة عين شمس
كلية الألسن
قسم اللغة العربية

تعـــــدد الأصـــــوات
فـــي شعـــــر هـــارون هـــاشـــم رشيـــــد
دراسة في تداخل الأجناس الأدبية

بحث مقدم لنيل درجة دكتوراه الألسن في اللغة العربية

إعداد الباحث
وليد السيد حامد نصار

إشـــراف

أ.د/ سيد محمد السيد قطب
أستاذ الأدب والنقد بالقسم

د/ حنان يوسف عز الدين
المدرس بالقسم

القاهرة 1431هـ - 2010 م

وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيماً

النساء الآية 113

الإهـــــــــداء

أهدي هذا العمل المتواضع **إلي سر وجودي في** هذه الحياة، إلى الزيت الذي أسرج به مصباحي خلال مسيرتي **في** جميع مراحل حياتي

إلـــــى أبـــــــــــــــــي

إلي من كان عطاؤها هو الحياة، ومهما بذلت وقدمت فلن أوفيها بعض حقها

إلـــــى أمـــــــــــــــي

إلى من تحملت العناء معي، إلى التي ساندتي وشجعتني،

إلى من جاءت لي بنور حياتي أولادي إلى أم **أولادي**

إلـــــى زوجتـــــــــي

إلى نور عيني ودنيتي وأسأل الله أن تشفع تربيتي لهم في آخرتي ،

إلى الذين **ملئوا** الدنيا على بشراً وسروراً **وسعادة.**

إلـــــى أولادي

إلى رموز الحب والأخوة الصادقة والحنان

إلـــى أخوتـــي

شكـــــر و تقدير

الحمد و الشكر لله رب العالمين حمدا يوافى نعمه التي لا تعد ولا تحصى واستعين به أن أعانني ووفقني لاستكمال هذه الرسالة،وهيأ لي أساتذة وعلماء أجلاء بذلوا كل ما في وسعهم لنصحي وإرشادي.

وانطلاقا من قول رسولنا الكريم سيدنا محمد **(ص):"من أسدى إليكم معروفا فكافئوه،فإن لم تجدوا ماتكافئونه به فادعوا له**".أتقدم بكل الشكر والدعاء والعرفان بالجميل إلى:

الأستاذ الدكتور / **سيد محمد السيد قطب** أستاذ الأدب والنقد بقسم اللغة العربية ،كلية الألسن جامعة عين شمس ،على تفضله بقبول الإشراف على هذه الرسالة،وعلى كل ما قدمه لي من توجيهات ونصائح،والتي كان لها الفضل في تخطي العقبات والصعاب التي واجهتني، ولولاها لما خرج هذا العمل على هذه الصورة، ولما عاناه في القراءة والتمحيص والتدقيق، ولما أخذت من وقته وجهده،فله مني عظيم الشكر ووافر التقدير والحب والاحترام.

وإذا كان للإنسان أن يعترف بالجميل فيكون لأستاذي الكبير **الأستاذ الدكتور/**عيسي مرسي سليم رحمه الله وأدخله فسيح جناته، الذي كان له الفضل بعد الله سبحانه وتعالى في تسجيلي لموضوع الرسالة،وكم كان يتمنى **أن** يرى هذا اليوم يوم حصولي على درجة الدكتوراه ،ولذلك أحس الآن أن روح سيادته **ترفرف** في المكان ،فدعائي له بمغفرة من الله و**رحمة وبجنة الخلد** جزاء صنيعه **إن شاء الله تعالى.**

كما أتقدم بالشكر إلى الدكتورة/ حنان عز الدين لتفضلها بقبول الإشراف على هذه الرسالة، ولما عانته في قراءة هذا العمل بالرغم من كثرة مشاغلها وضيق وقتها.

كما أتقدم بخالص الشكر إلى الأساتذة الكرام الذين تفضلوا بقبول مناقشتي على الرغم من كثرة مشاغلهم،فجزاهم الله كل الخير.

الأستاذ الدكتور/محمد على سلامة

أستاذ النقد بقسم اللغة العربية كلية الآداب جامعة حلوان

الأستاذ الدكتور/عبد المعطى صالح

أستاذ الأدب بقسم اللغة العربية كلية الألسن جامعة عين شمس

الشكر والإعزاز والتقدير إلي أسرتي لما قدموه لي من مساعدة في إنجاز تلك الرسالة فجزاهم الله عني كل خير.

وبعد... فهذا جهد متواضع أدعو الله سبحانه وتعالي أن يتجاوز عما به من نقص أو تقصير، كما أدعوه أن يكون خالصاً لوجهه الكريم.

(رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ)

المقدمة

المقدمة:

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، وصلاة وسلاماً على من بعثه الله هادياً ومعلماً وسراجاً منيراً، وبعد...،

"ليس من شك في أن النص الإبداعي في كل فن من الفنون المختلفة له قواعده وتقنياته وعناصره التي يتم من خلالها التعرف عليه في عملية التداول الثقافي, فنحن نعرف الشعر من إيقاعه وصوره ولغته المكثفة، ونعرف القصة من الراوي والشخصيات والصراعات الدرامية، ونعرف المسرحية من الحوار وحضور الشخصية بصوتها المباشر وتعليمات المؤلف داخل النص التي تحدد طبيعة المكان والزمان وشكل الشخصية والطريقة التي تلقي بها حديثها"[1].

وهناك مساحة تلتقي فيها النصوص الأدبية القولية، بل تلتقي فيها الفنون بشكل عام، فهناك علاقة بين الشعر والموسيقي، وبينه كذلك وبين الفن التشكيلي، وبينه وبين القصة والمسرحية.

وقد قدمت البلاغة العربية التراثية مجموعة من المقولات الثرية التي تتعلق ببناء النص من خلال المحاور الثلاثية:-

أ- البيان: الخاص بالصورة.

ب-المعاني: الخاص ببناء الجملة في النص.

ج- البديع: الخاص بالعلاقات الإيقاعية والتقابلات الدلالية.

ولم تغفل هذه البلاغة العملية التداولية للنص حين راعت مقتضي الحال أو الموقف الذي يتم فيه استقبال الكلام.

(1) د سيد قطب، د. عبد المعطي صالح، د. سعاد صالح، الموسوعة السردية مئة صوت في القصة العربية، ط الصالون الثقافي، القاهرة، 2010م، ص 123.

وقدم النقد الحديث أيضاً منطلقاً مهماً في دراسة النص الإبداعي السردي والشعري على حد سواء، وهذا المنطلق هو مفهوم الصوت، ففي كل نص هناك قائل، ذات تتكلم، تمارس اللغة لأغراض فكرية وجمالية تحاول التأثير، ولكي يكون حديثها مطابقاً لمقتضي الحال فإنها تستخدم تقنيات متعددة، فهي توظف نصوصاً لها أهميتها، وتختار شخصيات كالقناع لها تتحدث من خلالها، وفي هذه العملية التشكيلية والتأثيرية، تتعدد الأصوات في النص الواحد، ويزداد حضور هذا التعدد الصوتي وأهميته كلما اقترب النص من البناء الدرامي القائم على الصراع والمواجهة.

ولم يكن تعدد الأصوات بعيداً عن القصيدة العربية القديمة، فمنذ الشعر الجاهلي نجد صوت الذات التي تمثل الشاعر تتكلم، ونجد أيضاً بعض الأصوات الأخرى لأصدقائه، لنسائه، لبعض معارضيه وخصومه، ويلاحظ كل قارئ للشعر العربي الموجود المتعدد للفعل (قال/ قالت) في القصيدة التي كتبها الشعراء على مر العصور، وهذا يعني أن الشعر العربي حافل بالتعدد الصوتي.

ولأن مفهوم الصوت جاء من علم السرد، من خلال الحديث عن الراوي وأنماطه ووظائفه، فإن هذا يجعل الشعر والسرد يلتقيان في منطقة واحدة مشتركة، يستغل فيها الشاعر تقنيات السرد من أجل صياغة قصيدته ويؤدي هذا بالطبع إلى مجموعة من الظواهر، أهمها:-

الأولي: دخول تقنيات السرد والحكي في التشكيل الشعري.

الثانية: التأثير على جماليات الشعر من حيث الصورة التي سيراعي الشاعر وضعها طبقا لمقتضي الصوت الذي يتحدث به فسيضع على لسان المرأة صورة مناسبة لطبيعتها، وكذلك بالنسبة للطفل وكذلك بالنسبة لصديقه أو لخصمه.

الثالثة: التأثير على لغة القصيدة لمراعاة طبيعة الصوت الذي يتكلم في النص.

ومن هنا جاء اختياري لدراسة تعدد الأصوات في القصيدة واخترت شعر هارون هاشم رشيد، لأنه شاعر غنائي ودرامي، وله إنتاج من القصائد وإنتاج مسرحي، وهذا يعني أن الحس الدرامي موجود لديه ويتعمق هذا الحس من خلال كونه من شعراء القضية الفلسطينية، فقد عبر عن جميع طوائف الشعب الفلسطيني في قصائده وكان الصوت الناطق باسم جماعته الإنسانية.

وقد وزعت الدراسة على تمهيد وأربعة فصول، فعمدت في **التمهيد** إلى تسليط الضوء على الشاعر هارون هاشم رشيد، وعلى نشأته الأولي في ربوع فلسطين، وكذلك من خلال شعره الذي يمثل جميع مراحل حياته.

وألقيت الضوء على دواوينه الشعرية وكذلك على أعماله المسرحية والأدبية الأخرى. ثم تناولت فكرة تعدد الأصوات في الشعر، حيث إن الشعر بطابعه المجازي التصويري والإيقاعي النغمي يطرح أفقاً ممتداً وشاسعاً تتعدد فيه الدلالات التي تأتي من التداخل بين الدوائر اللفظية بمكوناتها المختلفة التي يقيم النص بينها علاقات التماثل أو يعمق من مراكزها الدلالية بالكثافة أو يفتح الحدود بين هذه الدوائر فتتحرر المعاني، وكل هذه العناصر تخضع للقائل الذي يتكلم في النص، فأن قضية التشكيل الشعري وأفق المعني المحتمل من هذا التشكيل يمكن أن ننظر إليها من زاوية وجهة النظر وذلك بالبحث عن الصوت الذي يقول لنا داخل القصيدة، وهو صوت وظفه المبدع المنظم لهذا التشكيل الفني.

وعرضت بعد ذلك نماذج من التعدد الصوتي عند هارون هاشم رشيد. أما باقي فصول هذه الدراسة فقد صنفت فيها الأصوات التي استخدمها هارون هاشم رشيد في قصائده على النحو التالي:-

الفصل الأول: وعنوانه **(صوت الشاعر)** وفي هذا الفصل تناولت صوت (أنا) الحاضر أو صوت الذاكرة عند هارون هاشم رشيد شاعر الغرباء

الذي يستخدمه للتعبير عن فكرته، وبينت كيف احتفظ هارون هاشم للقصيدة برونقها وصفائها، وصب روحه في بحورها وتفعيلاتها، مخلصاً للنسق الشعري العربي ومجدداً في صوره وموضوعاته.

الفصل الثاني: عنوانه **(صوت اللاجئين والغرباء)**، وفي هذا الفصل عرضت نبذة مختصرة عن اللاجئين وحياتهم وتفرقهم في البلاد، وتناولت شعر هارون هاشم رشيد الذي أعطى فيه صوته إلى اللاجئين والمشردين الغرباء ليصور حالة اللاجئ والمعاني غير المستسلم الثائر، ويظهر ذلك من خلال قصائده التي تتحدث عن اللاجئين الفلسطينيين خارج وداخل وطنهم.

الفصل الثالث: وعنوانه **(صوت الشهداء)**، وعرضت فيه صوت هارون هاشم رشيد الذي منحه لشهداء فلسطين لإبراز صور متعددة ومعانٍ كثيرة في كلمات وأبيات تمتاز بجزالة اللفظ وصدق العبارة وحسن الإيقاع.

الفصل الرابع: وعنوانه **(تعدد الأصوات من القصيدة إلى المسرح الشعري والقصة الشعرية)** وفي هذا الفصل أوضحت أنه كما يسهم تعدد الأصوات في بناء القصيدة بناء دراميا، كذلك هو الحال في المسرحيات الشعرية والقصص الشعرية، يجري الحوار على ألسنة الشخصيات في بناء الصراع، ونموه وتطوره في محاولة للكشف عن الأفكار والمضامين التي يود الشاعر إيصالها للمتلقي/ المشاهد. وبالوقت نفسه، يكشف تعدد الأصوات عن الأبعاد الأيديولوجية والسيكولوجية والنفسية للشخصيات.

أما فيما يتعلق بالمراجع فقد تنوعت في انتمائها للمكتبة الشعرية والمكتبة السردية ولكنها تندرج في الدرس النقدي المعاصر مع سعي صادق للإفادة من الجهد البلاغي في تراثنا الثقافي، فقد أخذت من المصادر التراثية،

وأخذت من المراجع الحديثة من كتب مطبوعة، ورسائل جامعية، ودوريات ومجلات، وقد اعتمدت دراستي في توثيق نصوص الشاعر على دواوين الشاعر هارون هاشم رشيد.

تمهيد

الـذات والمـوضـوع
الشاعر وأعماله ومفهوم
التعدد الصوتي

تمهيد

"ولد الشاعر هارون هاشم رشيد في محله الزيتون بمدينة غزة 1927، وسماه والده ليكون (هارون الرشيد) تيمناً بالخليفة العباسي الشهير، وتفاؤلاً بميلاده، وفي مدرستي الإمام الشافعي والفلاح الوطنية تلقي دراسته الابتدائية في المرحلة الأولى، أما دراسته الثانوية فقد تلقاها في كلية غزة التي أنشأها الأستاذان شفيق ووديع طرزي، واستقدما للتدريس فيها خبرة المعلمين وصفوتهم في المواد الدراسية المختلفة، ومن أساتذة الشاعر في اللغة العربية في الكلية الشاعر الفلسطيني المعروف "سعيد[1] العيسى"[2].

وتلقي هارون هاشم رشيد أول دروس الشعر وإيقاعاته منصتاً إلى شاعر الربابة، مع قصص الفرسان العرب، مثلما استبطن شجن أغاني الأم، وهي تتسلى بها في ليلها الشجي، وكان نتاج وجدان شعري ملئ بالشجن رغم ما فيه من تفاؤل يطل من ذبالة الشجن.

ولعل اتصاله بالسير الشعبية منذ طفولته قد غرس فيه الحس الغنائي، والوعي بالحركة الدرامية للعلاقات الإنسانية، "فالتاريخ الحقيقي يمكن التماسه في قلب

---

(1) سعيد العيسى هو الشاعر سعيد بن جرجس العيسى, ولد في قرية الجماسين قضاء مدينة يافا شمال فلسطين المحتلة سنة 1916م, في أسرة أسهمت في الصحافة إسهاما كبيراً وعشقت الأدب بكل فروعه, وتلقى تعليمه في المدرسة الوطنية في يافا ثم انتقل إلى رام الله لإكمال تعليمه الثانوي في مدارسها, ثم توجه إلى الجامعة الأمريكية في بيروت وحصل على درجة البكالوريوس في الأدب العربي, وعمل مدرسا للغة العربية وآدابها في كلية "يبرزيت" الوطنية في مدينة رام الله, ثم انتقل لتدريس اللغة العربية في كلية غزة الوطنية, وتوفى عام 1991م في الأردن ودفن فيها.

(2) كامل السوافيري: الأدب العربي المعاصر في فلسطين من سنة 1860: 1960، مكتبة الدراسات الأدبية العدد 76، دار المعارف، القاهرة، ص 216.

الحكايات الشعبية التي يحاول المبدع استلهام معنى التجربة الجمعية مما فيها من خبرات[1].

وفي سنة 1947 زاول هارون هاشم رشيد مهنة التدريس، وفي سنة 1954 ترك التدريس وعين رئيساً لمكتب الإذاعة والنشر في إدارة الحاكم العام لقطاع غزة ثم رئيساً للإعلام ومستشاراً للحاكم العام، وشارك مشاركة فعالة في تحرير الصحف العربية التي صدرت في مدينة غزة بعد النكبة الأولى مثل: (غزة – اللواء– الرقيب – الوطن العربي)

وفي سنة 1967 غادر إلى القاهرة بعد الاحتلال الإسرائيلي وعُين في مكتب منطقة التحرير في القاهرة. وأخذ هارون رشيد يقرض الشعر ويبدع القصيد منذ سنة 1950، ومع حدث النكبة صعدت قصائده الأولى في تصوير حياة اللاجئين الذين عاشوا لحظة بلحظة .. ثم تحول إلى مبدأ العودة، مع المد القومي وموجة عبد الناصر، وقد صعد اسمه وارتفعت موهبته مع الحقبة القومية الناصرية، فغنى للوحدة وآمالها باستعادة الوطن المسلوب.. منذ أكثر من نصف قرن وهو يغني لفلسطين. ولا يسمح لشئ أن يشغله عنها، كأن همها قد صادر طفولته. وصادر شبابه، فلم يعش طقوسها كما يجب، وإنما كبر مثل كل أبناء فلسطين، وأصدر حتى اليوم عشرين ديواناً شعرياً، وعدداً من المسرحيات الشعرية، وكتب عشرات الأناشيد للأطفال والطلبة، مثلما تحولت قصائده إلى أغان شهيرة، غنت له فيروز "سنرجع يوماً". وذاع نشيده الشهير بصوت غازي الشرقاوي "لن أعيش مشرداً".

وبسؤاله عن أيهما جاء أولاً في حياتك القضية أم الشعر؟ أجاب هارون هاشم رشيد قائلاً "القضية أولاً: وفي الدرجة الأولى قبل الشعر، وبعد الشعر، فالقضية بدأت

(1) د. صلاح السروي: الذات والعالم، دراسات في القصة والرواية، القاهرة، الهيئة العامة لقصور الثقافة– كتابات نقدية، العدد 126، سبتمبر 2002، ص 19.

معي قبل الشعر، وأنا في مرحلة الطفولة، وكان عمري عشر سنوات، ومع ثورة 1936 في فلسطين، وأتذكر تحديداً يوم 27 رمضان، وكنت ألعب مع أصحابي قبيل موعد الإفطار في ميدان باب الطارون، قرب بيتي، عندما جاءت دورية بريطانية، وأخذت تراقبنا، ونحن نلهو ونلعب وما هي إلا دقائق وخرج من أحد الشوارع المقابلة للميدان مجموعة من الثوار، وأتذكرهم أربعة ملثمين، أشتبك الثوار مع الدورية، وقتلوا وأصابوا منهم ثم هربوا، وما هي إلا لحظات حتى فرض حظر التجول، وكل أسرة أغلقت بابها، وكان والدي في منطقة بعيدة حينها، ولم يستطع أن يدخل إلى منطقتنا بسبب الحظر، هذه اللحظات من الخوف والرعب ونترقب المجهول وأنا صغير، ما زالت محفورة في ذاكرتي، وفي الصباح جاءت الدوريات البريطانية تدعمها الدبابات، وطلبوا من كل سكان الحي مغادرة البيوت، وخرجنا وذهبنا إلى أحد أقاربنا في منطقة قريبة من الحي وبعد ساعات قليلة، بدأنا نسمع أصوات انفجارات، فأخذنا نركض إلى مكان الصوت في منطقتنا، فوجدنا بيوتاً، وقد نسفتها الدوريات البريطانية، ومنذ هذا التاريخ دخلت زنزانة اسمها القضية الفلسطينية، فعاشت معي قبل أن أكتب الشعر، بدليل أن ديواني الأول "مع الغرباء" كتبت فيه قصيدة تروي هذه الحادثة تحت عنوان "قصة حدثت بالأمس[1]".

وإن كنا نرى انعكاساتها في نماذج شعرية مختلفة عنده كما سنبين في الدراسة.

فهو شاعر من النمط السهل الممتنع، يكتب للناس، وينطلق منهم، لا يؤمن بالغموض في الشعر، ويدافع عن وضوحه وصراحته وتقريريته، ارتبط بعلاقات حميمة مع شعراء عصره: محمود حسن إسماعيل، وعمر أبو ريشة ونزار قباني وأحمد رامي وحسن البحيري، مثلما تابع أجيال الشعر الفلسطيني والعربي ولا يزال حتى اليوم يحمل

(1) عايشه مكاوي: "الشاعر والدبلوماسي والسياسي هارون هاشم رشيد.. فلسطين تحتاج إلى الأمة العربية، مجلة الرؤية ، بتاريخ 30 ديسمبر 2008.